المبحث الخامس:
الوحي وإثبات النبوة والمعجزات

أولاً: الوحي:

1 - تعريف الوحي في اللغة والاصطلاح:

أ - الوحي في اللغة:

اسم مصدر من أوحى إليه إذا أعلمه بمراده في سرعة وخفاء، ويدور من ثم معنى الكلمة في اللغة على الإعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجه له، بحيث يخفي على غيره مهما اختلفت أسباب هذا الإعلام وواسطته، لذلك يطلق الوحي على: الإلهام والإيحاء والإشارة والكتابة، والأمر والرسالة والكلام الخفي وكل ما ألقيته إلى غيرك[1].

ب - الوحي في لسان الشرع:

إعلام الله تعالى من اصطفاه من عباده ما أراد اطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم بطريقة غير معتادة للبشر مع الوعي والإدراك التام لكل ما يتلقى[2].

٢ - أنواع الوحي:

تعددت طرق الوحي وأنواعه، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ

---

(1) انظر: الصحاح (الجوهري) (6/ 252)، تهذيب اللغة (الأزهري) (5/ 297).

(2) مناهل العرفان (الزرقاني) (1/ 63).

مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: 51]. وهي كما يلي:

أ - الرؤيا الصادقة:

والرؤيا الصادقة الصالحة كانت أول ما بدئ به ﷺ من الوحي، كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: أول ما بدء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح[1]، وشبهت بفلق الصبح لظهوره، ووضوحه، وكذلك الرؤيا، وقوعها حق لا مرية فيه[2]. وكان بدء الوحي للنبي ﷺ بالرؤيا الصالحة إرهاصاً للنبوة[3].

- ورؤيا الأنبياء من الوحي، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: 102].

- وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: 4].

- وقال تعالى في شأن نبينا محمد ﷺ: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: 27][4].

---

(1) مسلم (1/ 139)، رقم 252.

(2) فتح الباري (1/ 31).

(3) أصول الاعتقاد في سورة يونس، قذلة بنت محمد القحطاني، ص: 234.

(4) المصدر نفسه ص: 235.

ب - أن يلقي الملك في روع النبي وقلبه دون أن يراه كما ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن جبريل عليه السلام ألقى في روعي أن أحداً منكم لن يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، فإن استبطأ أحد منكم رزقه فلا يطلبه بمعصية الله، فإن الله لا ينال فضله بمعصيته**[1]، وفي رواية: «**فإن الله لا ينال ما عنده إلا بطاعته**»[2].

ج - أن يأتيه في مثل صلصلة الجرس فيتلبس به وهو أشده على النبي ﷺ، روى البخاري عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه، سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أحياناً يأتيني مثل صلصلة**[3] **الجرس**[4] **وهو أشده فيفصم عنّي وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول**»، قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً[5].

وهذا النوع من الوحي كان من أشد أنواع الوحي، وكان الرسول ﷺ يعاني منه مشقة عظيمة، كما جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة، ففي صحيح مسلم عن عبادة بن الصامت قال: كان

(1) رواه الحاكم في المستدرك (2/ 4).
(2) سنن ابن ماجه (2/ 725) رقم 2144.
(3) الصلصلة: صوت الحديد إذا حرّك.
(4) الجرس: الجُلجُل الذي يعلق على الدواب.
(5) البخاري، كتاب الوحي، رقم 2.

النبي ﷺ إذا أنزل عليه الوحي نكس برأسه ونكس أصحابه رؤوسهم، فلما انجلى عنه رفع رأسه[1]. وعن زيد بن ثابت قال: إذا نزل الوحي على الرسول ﷺ ثقل لذلك وتحدر جبينه عرقاً كأنه الجمان وإن كان في البرد[2]، وعنه أيضاً فيما يروي عنه: أن رسول الله ﷺ أملى عليه: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: 95].

فجاءه ابن أم مكتوم وهو يُملها عليَّ، قال: يا رسول الله، والله لو أستطيع الجهاد لجاهدت. وكان أعمى، فأنزل الله على رسوله ﷺ وفخذه على فخذي، فثقلت عليَّ حتى خفت أن ترضَّ فخذي، ثم سري عنه فأنزل الله ﴿غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء: 95][3].

د - مجيء الرسول الملكي في صورة بشر:

وهذه الحالة من أيسر الأنواع إذ يرى الرسول ﷺ الملك ويخاطبه ويعي منه ما يقول، وقد يشاركه في الرؤية غيره من أصحابه، كما كان جبريل عليه السلام يأتي رسول الله ﷺ في صورة دحية الكلبي رضي الله عنه وجاءه مرة في صورة أعرابي فدخل المسجد وجلس إلى النبي ﷺ وأسند ركبتيه ووضع يديه على فخذيه، وأخذ يسأل الرسول ﷺ، والرسول يجيب وهو يصدقه بقوله: صدقت، حتى عجب الصحابة منه، كيف يسأله ويصدقه، ولما انصرف، أمر الرسول أصحابه أن يردوه عليه، فطلبوه، فلم يظفروا به، فقال ﷺ:

---

(1) مسلم، رقم 2335 (4/ 1817).

(2) صحيح الجامع للألباني (2/ 870) رقم 3792.

(3) البخاري، كتاب التفسير، رقم 4316 (4/ 1677).

«**هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم**»[1]، وفي نزول جبريل عليه السلام على رسول الله قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: 193 - 195].

والوحي بواسطة الملك هو الذي عناه الله تعالى بقوله: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ [الشورى: 51]، وهذا الرسول في الغالب هو جبريل عليه السلام وقد يكون غيره، وذلك في أحوال قليلة[2].

هـ - **رؤية الملك بصورته التي خلق عليها**: فيوحي إلى الرسول ما شاء الله أن يوحيه، وقد وقع هذا للرسول ﷺ مرتين، كما جاء في سورة النجم، قال تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [النجم: 8 - 14].

فقد رأى رسول الله ﷺ جبريل مرتين، فقد قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: «﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾: **إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطاً من السماء سادّاً عظيم، بين السماء والأرض**»[3].

فأما الأولى، فكانت في الأرض بعيد بعثته ﷺ بعد أن فتر الوحي روى البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول في فترة الوحي: «**بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي**

(1) مسلم، كتاب الإيمان (1/ 30).
(2) الرسل والرسالات للأشقر، ص: 63.
(3) مسلم، كتاب الإيمان، رقم 177 (1/ 159).

بين السماء والأرض فرعبت منه فرجعت فقلت: زملوني زملوني فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾» [المدثر: 1 - 5].

فحمي الوحي وتتابع[1].

وأما الثانية، ففي السماء ليلة الإسراء والمعراج روى الإمام أحمد رحمه الله بسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣﴾ [النجم: 13]، قال رسول الله ﷺ: «**رأيت جبريل عند سدرة المنتهى عليه ستمائة جناح ينشر من ريشه التهاويل الدر والياقوت**»[2].

و - تكليم الله عز وجل لرسوله بلا واسطة ملك من وراء حجاب:

تكليم الرب لعبده من وراء حجاب، كما كلم الله موسى عليه السلام، وقد ذكر الله سبحانه تكليمه موسى عليه الصلاة والسلام في كتابه حيث قال: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: 164].

- وقال: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: 143].

- وقال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٠ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ۝٣١﴾ [القصص: 30-31][3].

---

(1) البخاري (1/ 605) رقم 4، مسلم رقم 116.

(2) مسند أحمد (1/ 421) تفسير ابن كثير، وقال إسناد صحيح.

(3) العقيدة الإسلامية، د. أحمد جلي، ص: 221.

وكما كلم الله محمداً ﷺ ليلة المعراج عندما فرض عليه الصلوات الخمس[1]، وكما كلم الله آدم عليه السلام: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: 35][2].

وجميع هذه المراتب ثبتت لنبينا محمد ﷺ وهذا من خصائصه[3].

3 - وحي الإلهام والإرشاد:

أما بالنسبة لوحي الإلهام والإرشاد، فهو عام ولا يختص بالأنبياء - عليهم صلوات الله وسلامه - وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل: 68].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: 17]، وهذا وحي إلهام وإرشاد لأن من شرط النبوة الذكورة - كما بيّنا سابقاً -.

ومن الإلهام قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: 111].

والإلهام: هو شيء يوقعه الله في روع من كتب له ذلك، فيلقيه

(1) البخاري، رقم 349.
(2) أصول الاعتقاد في سورة يونس، ص: 247.
(3) المصدر نفسه ص: 248.

إلى الناس فيكون مطابقاً للواقع وليس من الكهانة، ولا من باب النجامة والرمل ولا من باب تلقين الشيطان[1].

والفرق بين الإلهام والوحي، أن الوحي معصوم من الخطأ، أما بالنسبة للإلهام فليس معصوماً، فقد يقع وقد لا يقع[2]. ومن الإلهام ما يجري على لسان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « **لقد كان فيمن قبلكم من الأمم ناس محدثون، فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر**»[3]، والحديث إلهام خاص[4].

ويأتي الوحي بمعنى الإيماء والإشارة، فقد سمّى القرآن إشارة زكريا إلى قومه وحياً ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: 11][5].

وأكثر ما وردت كلمة «وحِيَ» في القرآن الكريم بمعنى إخبار وإعلام الله من اصطفاه من عباده كل ما أراد إطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم، بطريقة سرّية خفيّة، غير معتادة للبشر[6].

ثانياً: إثبات النبوة عامة:

تعددت الأدلة والآيات الدالة على نبوة الأنبياء، فمنها:

---

(1) مدارج السالكين (1/ 39، 44 - 45).
(2) أصول الاعتقاد في سورة يونس، ص: 251.
(3) البخاري رقم 3486.
(4) مدارج السالكين (1/ 454).
(5) الرسل والرسالات للأشقر، ص: 61.
(6) المصدر نفسه، ص: 61.

1 - الأنبياء أعدل الناس طريقة وأصدقهم لهجة، وأكثرهم وقاراً، وأزهدهم في المال والجاه، وأرفضهم لحب الدعة والراحة[1]، هذا مع كثرة المحن والابتلاء عليهم، فما زادهم ذلك إلا ثباتًا، فما لينت الشدائد لهم صلباً، ولا فترت المكايد لهم عزمًا[2]، ومع ذلك كله ما جافوا في حكم عدو، ولا شهدوا بغير الحق لصديق، فنوح عليه السلام لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً لا يدعوهم إلا إلى الله، ولا يطلب منهم غرضاً دنيوياً، ولا مقصداً عاجلاً، وليس له في دعوته هوى ولا شهوة، وخاتم الأنبياء وسيد ولد آدم أجمعين، عرضت عليه الدنيا ملكاً ورئاسة ومالاً، على أن يترك ما يدعوهم إليه فأبى ذلك، وسرد ذلك يطول عن سائر الأنبياء - صلوات الله وسلامهم عليهم أجميعين -

2 - معاداتهم لقراباتهم وأرحامهم الذين جبلت الطباع على محبتهم، وعلى رجاء الاستغفار لهم، بحيث تركوا مناهج آبائهم، التي ولع الطبع باتباعها، وعادوا عشيرتهم التي يتقي من كل عدو بمحاماتها، ولقوا في الصبر عنهم الحتوف، ووقعوا في الدنيا لذلك في أعظم مخوف[3].

فنوح عليه السلام ترك ابنه وفلذة كبده يغرق مع الغرقى مع رجائه له أن يكون من الناجين، ودله على ما ينجيه وهو ترك الكفر بالله ثم

---

(1) البرهان القاطع في إثبات الصانع وجميع ما جاءت به الشرائع لابن الوزير، ص: 8، الشفا (1/ 172) الجواب الصحيح لمن بدل لابن تيمية (5/ 456 - 282).

(2) مسائل أصول الدين المبحوثة في علم أصول الفقه (2/ 562).

(3) المصدر نفسه، (2/ 562).

أنه استغفر من دعائه له فقال: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [هود: 47].

وإبراهيم عليه السلام تبرأ من أبيه لما أصر على كفره، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: 114][1].

3 - أنهم حصلت لهم أغراضهم النبيلة من النصرة، والنجاة من الهلاك، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: 83].

وقال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: 47]. وقد استدل بهذا قيصر الروم على صدق نبوة خاتم الأنبياء محمد ﷺ لما ذكر له أبو سفيان - ووقتئذ كان مشركاً - ذكر له أن الحرب سجال بينهم وبينه، فقال هرقل: هكذا الأنبياء تبتلى ثم تكون العاقبة لهم[2]، وفي المقابل أهلك الله من خالفهم وعاداهم، فأغرق قوم نوح، وكان غرقهم آية لم يستطيع دفعها إنس ولا جان، ومسخ أهل السبت قردة وأهلكهم، وكان ذلك آية، وأهلك عاداً وثمود، مع قوتهم وشدة بطشهم، ولنا طريقان إلى العلم بذلك[3] ما يعين، ويعقل بالقلوب، فقد ترك لنا الله آيات مرئية، كمساكن ثمود، كما

(1) مسائل أصول الدين المبحوثة في علم أصول الفقه (2/ 563).
(2) البخاري مع فتح الباري (6/ 128) رقم 9241.
(3) مجموع الفتاوى (4/ 213 - 214).

قال الله تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ﴾ [العنكبوت: 38].

والطريق الثاني: ما يسمع - وهو متواتر، فإن العلم لأنه قد وجد أنبياء وحصل لهم ولأتباعهم النصر على أعدائهم وأن المكذبين لهم منهم من أغرق ومنهم من خسف به، ومنهم من أرسل عليه الريح العقيم، العلم بذلك متواتر، ومعلوم علماً ضرورياً، ويقول الله عقب ذكره لإهلاك المكذبين وإنجاء المؤمنين: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: 8][1].

إن تأييد الله لرسله ونصرته لهم ذو تأثير كبير على نفوس الناس، فإن العرب لما رأت انتصار الإسلام صدقت وآمنت ودخلت في دين الله أفواجًا، قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢﴾ [النصر: 1 - 2].

إنه يستحيل على الله أن يتقول عليه متقول فيدعي أنه مرسل من عند الله، وهو كاذب في دعواه، ثم بعد ذلك يؤيده وينصره ويرسل الملائكة لتثبيته وحمايته، وقد أثار الله لهذا النوع من الاستدلال فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: 116]، فحكم بعدم الفلاح وقال: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ۝٤٦﴾ [الحاقة: 44 - 46][2].

---

(1) مسائل أصول الدين المبحوثة في علم أصول الدين (2/ 564).

(2) الرسل والرسالات، ص: 204، 205.

4 - زهدهم في الدنيا وإطراحهم للأهواء، وقلقهم من هول المعاد الآخروي، وتقطع نياط قلوبهم من الخوف للعذاب السرمدي، وهو شيء علم منهم أنه جد لا مزاح فيه ولا هزل، وحق لا تصنع فيه، ولا تكلف، وكيف والتكلف لا تخفى آثاره، ولا تستمر لصاحبه أحواله[1].

والناس يميزون بين الصادق والكاذب خاصة في دعوى النبوة، فإنه يدعيها أصدق الصادقين أو أكذب الكاذبين، والنبوة مشتملة على علوم وأعمال هي أشرف العلوم والأعمال، فكلها صدق وعدل واستقامة في الأعمال بخلاف الكاذب، فلا بد أن يظهر عليه ما يدل على بطلان دعواه من الكذب والفجور[2]، فلا بد أن يظهر في أقواله كذب واختلاف وفي أفعاله زيغ وانحراف، يقول الله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾ [الشعراء: 221 - 226]، إن الرسل أزهد الناس في متاع الدنيا وعرضها الزائل وبهرجها الكاذب، لا يطالبون الناس الذين يطالبونهم أجراً ولا مال، فهم يبذلون الخير ولا ينتظرون منهم جزاءً ولا شكوراً، وقد قص الله علينا في سورة الشعراء طرفاً من قصة نوح وهود وصالح، ولوط وشعيب، وكل منهم يقول لقومه: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾.

(1) البرهان القاطع لابن الوزير، ص: 12، الشفاء (1/ 179)، مسائل أصول الدين (2/ 565).

(2) الجواب الصحيح (5/ 357 - 411)، شرح العقيدة الطحاوية ص: 160.

فهذا آخر الرسل يأمره الله بمثل ذلك: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: 57][1].

5 - أن جمعًا منهم تمكنوا من الدنيا واستولوا على ما يحب الناس منها، فلم تتغير لهم طريقة، ولم تتحول لهم سجية، ملك سليمان عليه السلام ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فخدمته الطير وحشرت معه، وحملته الريح على متنها، وسخرت له، ودانت له ملوك الإنس وخضعت له عفاريت الجن، وكان البساط يحمله في أرجاء الأجواء مستقراً على متن الريح الخفاقة والهواء وكانت الطير تظله، وكانت الأرض في يده وكانت أوامره مطاعة والخلائق له طاعة[2]، ومع ذلك كان في غاية التواضع، قائماً بأمر الله لا يعصيه، وسيد المرسلين - محمد ﷺ - كانت حاله مستقيمة، وأخلاقه على الكمال في كل أوقاته بعد أن تغلب على أعدائه، وقبل ذلك، مع وفاته وليس له درهم ولا دينار يورثه وبقيت له درع مرهونة عند يهودي على ثلاثين صاعًا من شعير ابتاعها لأهله[3]، وكل ذلك من دلائل الصدق[4].

6 - قوة يقينهم بمواعيد الله، وتسليمهم نفوسهم لما أمر الله وإن كان في ظاهره كالجناية على النفس والإلقاء بها إلى التهلكة،

---

(1) الرسل والرسالات، ص: 201.

(2) البرهان القاطع - لابن الوزير، ص: 13.

(3) البخاري مع الفتح (6/ 116) رقم 2916.

(4) الجواب الصحيح (5/ 440) مسائل أصول الدين المبحوثة في علم أصول الفقه (2/ 567).

كقول نوح وحده لقومه مع كثرتهم وقوتهم: ﴿ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس: 71] وقال هود عليه السلام: ﴿إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـٔٗاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٞ ﴿٥٧﴾﴾ [هود: 54-57].

7 - أنها ظهرت عليهم خوارق العادات وبواهر المعجزات:

من غير ممارسة لشيء من علوم الطبائعيين والمرتاضين، والمتفلسفين والمنجمين والمتكهنين والمصاحبين للجن والشياطين وأخبروا عن الغيوب واتصلوا في خرق العادات إلى مرتبة قصر عنها أهل الدراية في فنون هذه العلوم[1].

يأتي الحديث عنها مفصلاً في المعجزات بإذن الله تعالى مما يدل على أن ما جاءوا به ممن لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، لكونها من عند الله ﷻ.

8 - عدم اختلافهم فأخبارهم كلها صدق ولا تناقض بينها وما جاءوا به من الأعمال وتفاصيل الشرائع، دال على أن ما جاءوا به من عند الله العزيز العليم الحكيم. ألا ترى أن النجاشي لما استخبر من هاجر من الصحابة إلى الحبشة عما يخبر النبي ﷺ واستقرأهم القرآن فقرءوا عليه، فقال: إن هذا والذي جاء به موسى عليه السلام

(1) البرهان القاطع لابن الوزير، ص: 14.

ليخرج من مشكاة واحدة[1]، وكذلك ورقة بن نوفل لما قالت له خديجة رضي الله عنها: أي عم، اسمع من ابن أخيك ما يقول، «فأخبره النبي ﷺ بما رأى» فقال: هذا الناموس الذي نزّل الله على موسى[2]، وكذلك هرقل لما سأل أبا سفيان: بماذا يأمركم؟ أجاب: يأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئًا وينهانا عما كان يعبد آباؤنا، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة، قال هرقل: وهذه صفة نبي[3].

9 - عجز من عاصرهم عن إظهار كذبة واحدة لواحد منهم، في جميع عمره، من جميع الأمور التي ادعاها، وكان هذا من الدلائل عند هرقل، إذ سأل أبا سفيان: فقال: كنتم تتهمونه على الكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال: لا. فقال هرقل: فعرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله[4].

10 - نسبهم وسيرتهم وأخلاقهم: فهم الأحسن في ذلك كله وقد سأل هرقل أبا سفيان عن نسب رسول الله ﷺ فأجاب أبو سفيان: هو فينا ذو نسب، قال هرقل: كذلك الرسل تبعث في نسب قومها[5]، وقد قالت خديجة رضي الله عنها لرسول الله ﷺ أول نزول الوحي عليه: كلا والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق

(1) البخاري رقم ،3 مسلم رقم 160.
(2) البخاري رقم 2941.
(3) البخاري رقم 2941.
(4) البخاري رقم 2941.
(5) المصدر نفسه، رقم 2941.

الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق[1].

قال قوم صالح لصالح عليه الصلاة والسلام: ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا﴾ [هود: 62]. مع كمال أمانتهم وعدم غدرهم، وكان من أسئلة هرقل لأبي سفيان عن صفة النبي ﷺ: فهل يغدر؟ قلت: لا، قال هرقل: وكذلك الرسل لا تغدر[2].

11 - البشارة بمبعث خاتم الأنبياء: محمد ﷺ في الكتب السابقة: فقد وردت صفته في التوراة والإنجيل، وذكر مكان ظهوره، وصفة أمته، وخاتم النبوة بين كتفيه على ظهره، وما يحصل له من الهجرة والتمكين والنصر على أعدائه وظهوره على الدين كله، فكان ذلك كما أخبر الله، وقد أسلم بذلك كثير من أهل الكتاب، ولا يكون الخبر بذلك إلا عند علام الغيوب، الذي بيده الأمر كله[3].

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: 6].

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: 197].

---

(1) مسائل أصول الدين المبحوثة في علم أصول الفقه (2/ 570).

(2) البخاري رقم 2941.

(3) مسائل أصول الدين (2/ 571).

فالآية تبين أن من الآيات البينات الدالة على صدق الرسول ﷺ - وصدق ما جاء به - علم بني إسرائيل بذلك، وهو علم مسجل محفوظ مكتوب في كتبهم التي تداولونها، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: 196][1].

- وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة: 127-129].

وقد استجاب الله دعاء خليله إبراهيم وابنه نبي الله إسماعيل، وكان محمد ﷺ هو تأويل تلك الاستجابة[2].

- وقال تعالى: ﴿عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف: 156-157].

وضرب الله في التوراة والإنجيل مثلين لرسولنا محمد ﷺ

(1) الرسل والرسالات، ص: 162.

(2) المصدر نفسه، ص: 163.

ولأصحابه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: 29].

ثالثًا: المعجزات:

لم يرد في القرآن الكريم ولا في السنة المطهرة مصطلح المعجزة وإنما ظهر هذا المصطلح في وقت متأخر بعض الشيء عندما دوّنت العلوم ومنها علم العقائد، وفي أواخر القرن الثاني الهجري وبداية الثالث، لذا نجد أن القرآن الكريم قد استعمل كلمة: «الآية» في صدر إعطاء الدلائل للرسل عليهم الصلاة والسلام لمحاجة الأقوام، يقول تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: 109].

كما استعمل القرآن الكريم تارة لفظة «البينة» كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ [الأعراف: 73]. والبينة هي الدلالة الواضحة عقلية كانت أو حسية.

وتارة يستخدم القرآن لفظة «البرهان»، يقول تعالى: ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ [القصص: 32].

والبرهان بيِّن للحجة وهو أوكد الأدلة ويقتضي الصدق لا محالة[1].

كما يأتي التعبير عن المعجزة أحياناً بالسلطان، قال تعالى: ﴿تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [إبراهيم: 10].

ولعل اختيارهم لهذا المصطلح بدلاً من الآية والكلمات الأخرى لإزالة الدلالة المشتركة في الآية من القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ [البقرة: 106]، وبين الآية بمعنى العلامة البارزة الدالة على وجود الخالق ﷻ ووحدانيته كما في قوله: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: 190].

وبين الآية بمعنى البناء العالي، كما في قوله تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ﴾ [الشعراء: 128]، وكذلك الخروج من الدلالات المشتركة في الكلمات الأخرى[2].

1 - تعريف المعجزة:

أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة يظهره الله على يد رسله[3]، فالمعجزة أمر خارق للسنة التي أودعها الله ﷻ

(1) مفردات الراغب الأصفهاني، ص: 45.
(2) مباحث في إعجاز القرآن، د. مصطفى مسلم، ص: 14.
(3) مباحث في إعجاز القرآن، د. مصطفى مسلم، ص: 14، الإتقان للسيوطي (4/ 3).

في الكون ولا تخضع الأسباب والمسببات ولا يمكن لأحد أن يصل إليها عن طريق الجهد الشخصي والكسب الذاتي، وإنما هي هبة من الله ﷻ يختار نوعها وزمانها ليبرهن بها على صدق رسول الله الذي أكرمه بالرسالة. والسحر والأعمال الدقيقة التي يمارسها بعض أهل الرياضات البدنية أو الروحية لا يدخل تحت اسم الخارق لأن لكل من تلك الأمور أساليب ووسائل يمكن لأي إنسان أن يتعلمها ويتقنها ويمارسها، إذا اتبع الأسباب والأساليب المؤدية إلى نتائجها أمكنه بواسطة الجهد الشخصي والمران والممارسة أن يتوصل إلى تلك النتائج.

أما الأمور الخارقة فلا تدخل تحت طاقة البشر، ليست لها أسباب تؤدي إليها[1].

2 - شروط المعجزة:

ومن خلال التعريف السابق للمعجزة نستطيع أن نتلمس شروطها:

أ - أن تكون من الأمور الخارقة للعادة: سواء كان هذا الأمر الخارق من قبيل الأقوال: كتسبيح الحصى، وحنين الجذع ومثل القرآن الكريم، أو يكون من قبيل الفعل كانفجار الماء بين أصابع الرسول ﷺ وتكثير الطعام القليل وكفايته للجمع الكثير، أو من قبيل الترك: مثل عدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام وعدم إغراق الماء لموسى وقومه وعدم سيلانه عليهم.

---

(1) مباحث في إعجاز القرآن، د. مصطفى مسلم، ص: 14.

ب - أن يكون الخارق من وضع الله وإنجازه:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [غافر: 78].

فالمعجزة هبة من الله ﷻ لا يستطيع أحد أن يعين زمانها ونوعها: ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ﴾ [الأنعام: 109].

ج - سلامتها من المعارضة: فلو استطاع الخصم أن يأتي بمثل ما جاء به النبي بطلت حجته ولم يسلم له ادعاؤه أن هذه الخارقة أو هذا الأمر دليل على صدقه وأمارة على بعثه من قبل الله سبحانه وتعالى.

د - أن تقع على مقتضى من يدَّعيها «وقوعها على مقتضى الدعوى»، يشترط في المعجزة أن تكون موافقة لقول مدَّعيها غير مخالفة له سواء كان هذا الأمر مطابقاً لطلب المعاندين أو مخالفاً له، لأن الرسول يبلِّغ عن أمر ربه في تحديد نوع المعجزة وزمانها ولا دخل له في هذا التعيين فإذا جاءت المعجزة على وجه غير الوجه الذي عينه الرسول لم تكن دليلاً على صدقه بل تثير عندئذ الشكوك حول ادعائه، ومن هذا القبيل ما وقع لبعضهم مما يطلق عليه العلماء «اسم الإهانة» فإذا مسح على المريض ليشفى فمات، أو بصق في البئر لتكثير مائه فغار، كما ذكرت بعض الروايات في شأن مسيلمة الكذاب، فلا تكون معجزة إنما هي إهانة له ودليل على كذبه.

هـ - التحدّي بها: وهذا شرط أساسي في المعجزة لإثبات عجز الجاحدين وإقامة الحجة عليهم فإن عدم التحدي لمعجزة لا يبرزها كدليل وبرهان لكي لا يقول قائل فيما بعد: أنه لو تُحدِّي بالمعجزة القوم لتمكّنوا من الإتيان بها، والتحدي يكون بالقول الصريح بأن يقول الرسول: دليل صدقي وصحة ما جئت به هو عجزكم عن الإتيان بمثل هذا الأمر الذي أفعله وهذا هو الغالب في معجزات الرسل عليهم الصلاة والسلام[1].

و - أن يستشهد بها مدَّعي الرسالة على الله ﷻ: أي: يجعلها الرسول دليل صدق رسالته لإثباتها وينسب إليه هذا الأمر إلى الله ﷻ فيقول مثلاً: آيتي أن يقلب الله ﷻ هذه العصا ثعباناً، أو أن يحيي الله ﷻ هذا الميت عند قولي له: «قم».

ز - تأخر الأمر المعجز عن دعوى الرسالة: لأنه بمثابة الشاهد، ولا يقوم الشاهد إلا بعد قيام الدعوى، أما إذا تقدم على دعوى الرسالة، فيكون من قبيل «الإرهاص»، وهي الأمور التي تتقدم على الرسالة وتمهد لها كتظليل السحابة لرسول الله ﷺ وهو في سفره إلى الشام قبل البعثة[2].

3 - المعجزة قرينة الرسالة:

ولولا المعجزة لأشكل الأمر على الناس والتبس أمر الصادق بغيره، ولما سلمت الدعوات من مدّعين كاذبين وتأييد الرسول بآية

---

(1) مباحث في إعجاز القرآن، ص: 17.

(2) المصدر نفسه ص: 18.

صدق سنة إلٰهية في رسالات الأنبياء جميعاً، والقرآن الكريم يوضح هذه السنة ويقررها كما ورد في قصص الأنبياء والأمم السابقة، ولم يؤاخذ الأقوام عندما طالبوا رسلهم بالآيات الدالة على صدقهم، إنما آخذهم عندما عطلوا ملكاتهم العقلية، ولم يتدبروا أثر الحكمة والتدبير فيما حولهم، أو أصروا على نوع معين من الآيات من قبل العناد والجمود على العادات الجاهلية الموروثة من الآباء الذين لم يكونوا على هدى من ربهم[1].

إن الرسول لا يتميز عن سائر الناس بجسمه ولا بكلامه، فكان لابدّ من أمارة تدل على صدقه في سفارته هذه بين الخالق سبحانه وتعالى وبين خلقه.

وقد يعطى الرسول الآية «المعجزة» عند تبليغه الوحي أول مرة من غير سؤال وتطلّع كما حدث لموسى عليه الصلاة والسلام: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١﴾ وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾﴾ [النمل: 8 - 12].

وقد يُعطاها الرسول بعد تكذيب القوم له ومطالبتهم بالآية، كما حدث لأغلب الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه: ﴿قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ

(1) مباحث في إعجاز القرآن، ص: 12.

بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [هود: 53].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَـٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾﴾ [الشعراء: 153-155].

وعلى كلتا الحالتين فإنها هبة من الله سبحانه لرسله، فهو المعطي وهو الذي يختار نوعها وزمانها ومكانها ودور الرسول فيها أنها تتجلى على يده وليس بالضرورة أن تكون نفس الخارقة التي طلبها القوم، فإن مدلول الخارقة والإيمان والتصديق لصدق الرسول يتحقق بوجود المعجزة مطلقاً ولا يتوقف على نوع خاص من المعجزات، بل إن سنة الله تقضي بتعجيل عذاب الاستئصال للذين لم يذعنوا للآية الخاصة التي سألوها: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ [الأنعام: 8][1].

4 - سنة الله ﷻ في معجزات الأنبياء:

باستعراض معجزات الأنبياء السابقين ومعجزات خاتمهم عليهم الصلاة والسلام أجمعين نلاحظ أن المعجزة تختار من بيئة القوم الذين يُرسل الرسول إليهم ومن نوع المشهور في عصرهم مما يتلاءم مع مستواهم الفكري ورقيّهم الحضاري، لتكون الحجة أقوى.

أ - الأنبياء الذين عاشوا في البلاد العربية كانت معجزاتهم مناسبة لبيئة العرب الصحراوية، فمعجزة صالح عليه الصلاة والسلام كانت ناقة غريبة المنشأ والمولد بين نوق أهل البادية قال

(1) مباحث في إعجاز القرآن، ص: 24.

تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾﴾ [الشعراء: 153-155].

ب - وكان السحر منتشراً بين المصريين عامتهم وخاصتهم استرهبهم فرعون وجنوده به، فجاءت معجزات موسى عليه الصلاة والسلام من جنس المشهور بين قومه فمن معجزاته الرئيسة:

- العصا: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الشعراء: 32].

- واليد: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ [النمل: 12].

فظاهر هاتين المعجزتين لا يختلف عما كان متداولاً بين سحرة فرعون[1]، ولكن أهل الدراية بالسحر كانوا يميِّزون بين السحر وبين ما خارج قوى السحرة، بل من صنع الله، لذا كانوا أول المؤمنين به.

ج - وبعد عصر موسى علية الصلاة والسلام انتشرت الفلسفة اليونانية وهي أساس الفلسفة اليونانية فيما بعد، وكانت تقوم على الأخذ بالأسباب والمسبِّبات وتولُّد المعلول من العلة في انتظام قائم لا يتخلف، فجاءت معجزات أنبياء بني إسرائيل في هذا العصر خارقة للأسباب والمسبِّبات، لتثبت أن الكون كله بإرادة مريد مختار لا ليفعل إلا ما يريد ولا يصدر عنه بغير إرادته الثابتة شيء[2].

---

(1) المعجزة الكبرى، للشيخ محمد أبي زهرة، ص: 437، مباحث في إعجاز القرآن، ص: 24.

(2) المعجزة الكبرى، لأبي زهرة. ص: 437، مباحث في إعجاز القرآن، ص: 25.

فمعجزات سليمان عليه الصلاة والسلام مثلاً جاءت مناهضة لتلك النظرية التي تقول إن المخلوقات نشأت عن الموحد الأول نشوء العلة من المعلول، فكانت حياة نبي الله سليمان في ملكه تجري على هدم هذا النظر، فمن معجزاته:

- تسخير الجن والطير له:

- تعليمه منطق الطير والحيوان: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [النمل: 16-22].

تسخير الريح له: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ﴾ [سبأ: 12].

د - **وفي عصر اليونان ازدهر الطب والفلسفة** المبنية على الأسباب أيضاً فكانت معجزات عيسى عليه الصلاة والسلام من جنس ما اشتهر به هذا العصر.

- فكانت ولادته إبطالاً صارخاً لهذه النظرية، فإن المعتاد في حياة الكائنات الحية أن المولود يولد من أبوين، فجاء عيسى عليه

الصلاة والسلام من غير أب فكان ذلك خرقاً للأسباب الطبيعية الجارية: ﴿... فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾﴾ [مريم: 17-22].

- وتحدُّثه في المهد حديث الحكماء: ﴿... قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾ [مريم: 29-33].

- وتصويره من الطين كهيئة الطير ثم نفخه فيها فيكون طيراً بإذن الله: ﴿... وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 49].

هـ - وقبل بعثة خاتم النبيين بلغت الفصاحة والبلاغة وفنون القول شأواً بعيداً، وأخذت الكلمة مكاناً في نفوس العرب من التقديس والتعظيم لم يبلغه شيء آخر، مما حدا بهم أن يُعلقوا

المعلّقات السبع في جوف الكعبة وإذا علمنا أن الكعبة كانت تعتبر أقدس مكان عند العرب في جاهليتهم أدركنا مكانة الكلمة في نفوسهم.

والحكمة الإلٰهية في اختيار المعجزة من جنس ما اشتهر بين القوم هي إن الإنسان إذا أوتي من قبل ما يعتبره مفخرته ومجال إجادته واعتزازه تكون الحجة عليه أقوى والمعجز أكثر فعلاً وأثراً.

ولتكون معجزة النبي الخاتم أشدَّ لمعاناً وأسطع برهاناً، فقد جعل الله معجزته كتاباً متلواً معجزاً، وهو الإنسان الأمي الذي لم يخط بيده كتاباً ولم يتلق من أحد من البشر معرفة[1].

5 - بعض معجزات الرسول ﷺ الحسية:

قد جرى على يد رسولنا صلوات الله وسلامه عليه العديد من الخوارق الحسية والكونية التي شهد لها من حضرها آنذاك، وجاءت بها الأخبار الصحيحة، ومن تلك المعجزات الحسية ما يلي:

أ - انشقاق القمر: من المعجزات الخارقة التي أيد الله بها محمد ﷺ حين سألته قريش أن يريهم آية تدل على صدقه فأراهم انشقاق القمر، فلما رأوا ذلك قالوا: هذا سحر منه ﷺ لأعينهم إلا أن بعض القوم قالوا: انظروا ما يأتيكم به السفار، فإن محمداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم، فلما سألوا من قدم عليهم من المسافرين أجابوهم برؤية القمر وقد انشق إلى نصفين.

---

(1) مباحث في إعجاز القرآن، ص: 26 - 27.

وقد أثبت القرآن هذه المعجزة صراحة في قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾ [القمر: 1 - 2].

كما جاءت بها أحاديث صحيحة ومن ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك ﷺ قال: إن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر[1].

ب - نبع الماء من بين أصابعه على مرأى ومشهد من الصحابة: ومن ذلك ما روي عن جابر ﷺ قال: عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة فتوضأ منها ثم أقبل الناس نحوه فقال رسول الله ﷺ: «**ما لكم؟**» قالوا: يا رسول الله ليس عندنا ما نتوضأ به ولا نشرب إلا من ركوتك، فوضع النبي ﷺ يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه، كأمثال العيون قال: فشربنا وتوضأنا، قلت لجابر: كم كنتم يومئذ؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة[2]. وقد علق القاضي عياض على ما ورد من أحاديث حول هذه القصة قائلاً: هذه القصة رواها الثقات والعدد الكثير عن العدد الكبير من الصحابة، ومنها ما رواه الكافة عن الكافة متصلاً بالصحابة، وكان ذلك في مواطن اجتماع الكثير منهم في المحافل ومجمع العسكر، ولم يرد عن أحد منهم إنكار على راوي ذلك، فهذا النوع ملحق بالقطعي من معجزاته[3].

---

(1) البخاري، كتاب المناقب رقم 3637.

(2) البخاري، كتاب المغازي رقم 4125.

(3) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى (1/ 496 - 497).

ج - **معجزة الإسراء والمعراج**: قد سجل القرآن هذه المعجزة في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: 1].

كما أشار القرآن الكريم إلى بعض تلك الآيات التي أراد أن يريها لعبده محمداً في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾ [النجم: 13 - 18].

كما سجلت تفاصيلها أحاديث الرسول ﷺ [1]، ومن تلك المعجزات المادية: معجزة تكثير الطعام القليل حتى أشبع العدد الكثير، ومعجزة حنين الجذع، واستجابة الجمادات لدعائه لها وإتيانها له، ومعجزات إبراء المرض ورد ما انفصل من بعض أجزاء الإنسان، وغير ذلك من الآيات [2].

رابعاً: القرآن الكريم معجزة الرسول ﷺ الكبرى:

إن تلك الآيات المعجزة، والعجائب الخارقة للعادة على كثرتها وتنوعها وصحة وقوع حوادثها، لم يقع بها التحدي العام لإثبات دعوى الرسالة كما وقع بالقرآن الكريم، فقد كانت معجزته ﷺ الكبرى التي وقع بها التحدي، وبقيت على مر الزمان وخوطبت بها

(1) البخاري، كتاب بدء الخلق رقم 3207.

(2) محمد رسول، محمد الصادق عرجون (2/ 327 - 367).

البشرية جمعاء، هي القرآن الكريم، وقد ورد في الحديث عنه ﷺ أنه قال: «**ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليَّ فأرجو أن أكون أكثرهم تبعاً يوم القيامة**»[1]، فتحدى الله ﷻ العرب بأن يأتوا بمثل هذا القرآن.

قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: 88].

وتنزل معهم في التحدي، وطلب منهم أن يأتوا بعشر سور من مثله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [هود: 13].

ولما عجزوا عن ذلك وظلوا على عنادهم واستكبارهم، زادهم تحدياً بأن يأتوا بسورة: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس: 38].

وقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: 23 - 24].

وظل التحدي قائماً منذ ذلك الحين، عجز عنه فصحاء العرب وبلغاؤهم وعجزت عنه البشرية كلها على مدى أربعة عشر قرناً من

(1) البخاري، كتاب: فضائل القرآن رقم 4981.

الزمان، وإنهم لعاجزون حتى قيام الساعة، فقد كان أولى الناس بالرد على التحدي أولئك الذين كانت صناعتهم الفصاحة والبلاغة يتيهون بها على الناس.

ولقد كانت معجزات الرسل كلهم من قبل معجزات حسية وكونية، تتعلق بالسنن الجارية في الكون وتخرقها، فمعجزة نوح عليه الصلاة والسلام طوفان مدمر يغرق المكذبين وينجو منه المؤمنون، ومعجزة هود عليه الصلاة والسلام ريح صرصر عاتية تهلك المكذبين، وينجو منها المؤمنون، ومعجزة صالح عليه الصلاة والسلام - حين عقر قومه الناقة المرسلة آية لهم - زلزلة عظيمة قتلتهم في ديارهم ونجا هو ومن معه من المؤمنين، وكذلك كانت معجزات موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام التي أشرنا إليها آنفاً، أشياء خارقة للسنن الكونية. أما معجزة الرسول ﷺ فهي معجزة عقلية معنوية جامعة، وليست معجزة حسية ولا كونية، وإن كان للرسول ﷺ معجزات أخرى حسية وكونية، كالإسراء والمعراج وانشقاق القمر..إلخ، ولكن المعجزة الكبرى التي وقع بها التحدي، والتي بقيت على الزمن وخوطبت بها البشرية كلها هي القرآن[1].

وإعجاز القرآن الكريم، لا يقتصر على ناحية معينة ولكن يأتي من نواحٍ متعددة، لفظية، ومعنوية، وروحية، وعلمية وتشريعية،

(1) ركائز الإيمان، ص: 373.

وقد اتفقت كلمة العلماء، كما يقول الشيخ خلاف، على أن القرآن لم يعجز الناس على أن يأتوا بمثله من ناحية واحدة معينة، وإنما أعجزهم من نواحٍ متعددة لفظية ومعنوية وروحية، تساندت وتجمعت فأعجزت الناس أن يعارضوه واتفقت كلمتهم أيضاً على أن العقول لم تصل حتى الآن إلى إدراك نواحي الإعجاز كلها وحصرها في وجوه معدودات، وأنه كلما زاد التدبر وسننه، وأظهرسحر السنين عجائب الكائنات الحية وغير الحية، تجلت نواحٍ من نواحي إعجازه وقام البرهان على أنه من عند الله[1].

1 - الإعجاز اللغوي:

قد بلغت بلاغة القرآن وجزالة ألفاظه، وروعة أساليبه وإحكام نظمه درجة بهرت العرب، وأدركوا أن هذا الكلام الذي يسمعوه لا يشبه الشعر الذي يقرضونه، ولا النثر الذي يتعاطونه، وقد شهد بذلك الوليد بن المغيرة، حينما بعثت به قريش ليحاجَّ الرسول ﷺ فعاد إليهم قائلاً: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني، لا برجزه ولا بقصيدة، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه هذا الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى، وإنه ليحطم ما تحته[2].

ويظهر وهذا الإعجاز اللغوي في تنوع أساليب القرآن في العرض وفقاً لتنوع الموضوع النفسي المصاحب له، فيشتد أحياناً

(1) علم أصول الفقه عبد الوهاب خلاف، ص: 57.

(2) تفسير المنار (1/ 199) العقيدة الإسلامية، أحمد علي، ص: 259.

فيهز المشاعر والحواس، كما في مواقف الوعيد والعذاب، مثل قوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ [الحاقة: 30 - 32] بينما يلين الخطاب ويرق ويلطف في مواقف الرحمة والرفق والدعاء، مثل قوله تعالى: ﴿كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾﴾ [مريم: 1 - 6] كما يتميز بعرضه الحي للمشاهد والأحداث وقصص السابقين ومشاهد القيامة، إذ تمتلىء بالحركة وروعة التصوير التي ينفعل بها الإنسان وتهتز لها مشاعره[1].

وقد كتب كثير من العلماء، قديماً وحديثاً، في أوجه الإعجاز للقرآن من ناحية البلاغة والأسلوب، كما حاول بعض العرب قديماً معارضة القرآن، فجاء كلامهم ساقطاً مضحكاً جعلهم موضع سخرية بين قومهم، وأكد إعجاز القرآن، فبضدها تتميز الأشياء[2].

2 - إخبار القرون بأحوال الأمم السابقة:

قد ورد في القرآن إخبار عن أمم بادت وشعوب هلكت من أمثال: عاد، وثمود، وقوم لوط، وقوم نوح، وإبراهيم وقصة موسى وقومه، وفرعون وملائه، ومريم وولادتها المعجزة للمسيح إلى غير

(1) العقيدة الإسلامية، ص: 260

(2) المصدر نفسه، ص: 160.

ذلك من الأخبار التي جاءت متوافقة مع ما توصل إليه الإنسان من اكتشافات تاريخية عن تلك الأمم، ومتفقة مع ما صح وكان معقولاً من الروايات التي وردت في كتب أهل الكتاب، وقد ورد هذا كله من أُمّي لا يقرأ ولا يكتب، ولم تكن بيئته بيئة علم وكتاب، ولم يجلس إلى معلم يتلقى منه، فكان ذلك والأمر هكذا دليل قوي أن ما جاء به محمد ﷺ هو وحي من عند الله تعالى، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: 48]. ولما تحير الجاحدون ولم يستطيعوا الطعن فيما أخبر به الوحي الإلٰهي، افتروا الكذب وادعوا أنه يعلمه بشر، ولم يجدوا بمكة إلا فتى رومياً لا يحسن العربية، ولا يعلم من الأخبار وقصص الأولين شيئاً، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: 103][1].

3 - الإخبار عن أحداث غيبية أو مستقبلية:

من وجوه الإعجاز القرآني إخباره عن أمور غيبية أو أحداث مستقبلية لم يتوقع حدوثها آنذاك، بل إن حدوثها بالصورة أخبر عنها القرآن، كان مستبعداً لا تدل عليه القرائن والأحوال الظاهرة، فجاءت كما قرر القرآن الكريم وأخبر ومن ذلك:

أ - إخباره بانهزام الفرس على يد الرومان بعد أن هزموا الرومان هزيمة ساحقة، قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ

(1) العقيدة الإسلامية، ص: 261.

﴿ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝﴾ [الروم: 1 - 4]، فوقع الأمر كما أخبر القرآن فهزم الروم الفرس، مع أن ضعف الدولة الرومانية آنذاك يجعل مثل هذا النصر بعيداً.

ب - وقد وعد الله المؤمنين بالنصر في غزوة بدر الكبرى، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأنفال: 7]، وقد تحقق النصر الباهر مع قلة عدد المسلمين وعدتهم.

ج - كما وعد سبحانه وتعالى المؤمنين بدخول المسجد الحرام: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: 27].

د - وقد تحقق وعد الله فتم للمسلمين دخول المسجد في فتح مكة، وقد وعد الله المؤمنين أن يستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، فقال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور: 55].

وقد تحقق وعد الله فاستولى المسلمون في حياة الرسول ﷺ على كل بلاد العرب ودانت جميعها للمسلمين، وتجاوز أصحابه حدود الجزيرة، واستولوا على أرض فارس وما وراءها ومدوا سلطانهم عليها، وساروا إلى أرض الروم فاقتطعوا منها الشام كلها ومصر.

وأخيراً فقد تعهد الله ﷻ بحفظ هذا القرآن من التحريف، فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9]. وقد صدق هذا الخبر وتحقق فما زال القرآن محفوظاً من التغيير والتبديل إلى يومنا هذا رغم تطاول الزمان وتقلب الأحوال بالمسلمين، وسيبقى كذلك بإذن الله تعالى إلى يوم القيامة[1].

4 - اتساق سور القرآن وتوافق آياته:

من أوجه الإعجاز القرآني اتساق سوره، وموافقة آياته بعضها بعضاً في أحكامها ومعانيها وأساليبها، فالقرآن الكريم نزل منجماً وأوحى بعضه في مكة وبعضه في المدينة، وفي ظروف متباينة من ليل ونهار، وسفر وحضر، ولا نجد في جملة آياته التي تتجاوز ستة آلاف آية، وسوره التي تبلغ مائة وأربعة عشرة سورة، آية تختلف عن أخرى في مستوى بلاغتها ولا تعارض آية منها آية أخرى فيما اشتملت عليه من معاني، ولا سورة تتضمن من الأحكام والمعارف ما يتناقض مع سورة أخرى، الأمر الذي يدل على أن هذا القرآن ليس من وضع البشر، الذي نرى ثمرات عقولهم ونتاج أفكارهم، فنجد أنه لا يخلو عمل من أعمالهم، مهما حاولوا تلافي ذلك من نقص وقصور وتناقض وتعارض، وفي هذا الوجه من وجوه الإعجاز القرآني ورد قول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82][2].

(1) العقيدة الإسلامية، ص: 262.

(2) المصدر نفسه، ص: 266.

5 - الإعجاز في التشريع:

تضمن القرآن الكريم، من التشريعات المنظمة للحياة الإنسانية في دوائرها الفردية والاجتماعية والبشرية العامة، ما لم يكن معروفاً في الحضارات والثقافات، والفلسفات السابقة جميعاً، وجاء فيه من القيم الكبرى: أخلاقية وإنسانية واجتماعية عامة ما لم يكن وارداً على العقول ولا جارياً على الخواطر، ولا مأثوراً في واقع الناس، ويكفي أن نشير إلى بعض القيم المتعلقة بتكريم الإنسان وتحريره من الاستبداد وتقرير حقوقه الإنسانية بقطع النظر عن جنسه ولونه ودينه، وإعلان الوحدة الإنسانية العالمية، وتنظيم الحياة الأسرية، وضبط العلاقات الاجتماعية والدولية على أسس ثابتة من العدل، وغير ذلك مما لم يكن معهوداً في عصر النزول القرآني، لا في البيئة المحلية ولا في البيئة العالمية، بل لم يكن معروفاً في تاريخ الحضارات، ما كان منها دارساً وما كان باقيًا[1]، وهكذا نجد أن شريعة القرآن هي أقوى وجوه الإعجاز وهي الدالة على إعجازه إلى يوم القيامة، وهي قائمة إلى اليوم حجة على العربي والأعجمي، لا يفترق في قبولها من يعرف لسان القرآن ومن لا يعرفه وهي شفاء سقام المجتمعات كما قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 57][2].

6 - الإعجاز العلمي:

مما هو معلوم أن القرآن ليس كتاب علوم، ولم ينزل ليقرر

(1) العقيدة الإسلامية، ص: 266.

(2) المصدر نفسه، ص: 266.

نظريات علمية أو يدرس مسائل رياضية أو فلكية، ولكن ورد في القرآن الكريم العديد من الإشارات إلى بعض الظواهر الكونية والعلمية، التي لم يكن للعرب، ولا للعالم كله آنذاك علم بها، ولم يكشف عنها العلم إلا من وقت قريب، الأمر الذي يدل على أن القرآن، الذي احتوى هذه المعارف وتلك الحقائق العلمية لا يمكن أن يكون مصدره البشر، بل هو من عند الله تعالى العليم بالكون الذي خلقه، ومن ثم جاء خبره «الوحي» عن الكون مطابقًا لما فيه من حقائق ومن بين تلك الإشارات العلمية التي وردت في القرآن الكريم.

أ - قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: 30] الذي يشير إلى أنّ السمٰوات والأرض كانتا شيئاً واحداً، ثم انفصلت الأرض عن السماء؛ وقد اكتشف العلم هذه الحقيقة بها. فيما يعرف بنظرية الانفجار العظيم، التي يفسر بها نشأة الكون وبداياته الأولى.

ب - من الحقائق العلمية التي أشار إليها القرآن ظاهرة الجبال وأنهار رواسي تمنع الأرض أن تميد بأهلها، قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [لقمان: 10].

وفي هذا القرآن فقط كشف العلم: أن الجبال تحفظ توازن الأرض، وأنه حين يختل هذا التوازن لسبب من الأسباب فتحدث الزلازل والبراكين، تحفظ الجبال الأرض فلا تميد بأهلها كما عبر القرآن.

ج - أشار القرآن إلى تكوّن اللبن في بطون الأنعام من الفرث (وهو الغذاء المهضوم) والدم، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ [النحل: 66] وتلك حقيقة علمية لم يكشفها العلم إلا في هذا القرن الحديث، إذ ثبت علميًا أن اللبن يتكون من مواجهة محتوى الأمعاء «الفرث» مع الدم، خلال الجدار الأمعائي نفسه ثم تقوم الغدد اللبنية باستخلاص العناصر اللازمة لتكوين اللبن من الدم والكليوس «خلاصة الغذاء المهضوم» وتفرز عليها عصارات خاصة تحيلها إلى لبن يختلف في لونه ومذاقه اختلافاً عن كل منهما[1].

وهذه المعلومات تعتبر اليوم من مكتسبات علم الكيمياء، وفسيولوجيا الهضم التي كانت بالتأكيد غير معروفة مطلقاً في عصر النبي محمد ﷺ، وترجع معرفة هذه الأمور العلمية فقط إلى العصر الحديث[2].

د - أشار القرآن الكريم إلى أصل خلق الإنسان ومراحل نمو الجنين:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون: 12 - 14].

---

(1) دلائل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، موسى الخطيب، ص: 137.

(2) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل، موريس بوكاي، ص: 223.

ولم يكتشف التشريح وعلم الأجنة عن هذه المراحل إلا في العصر الحديث، يقول بوكاي: تطور الجنين في الرحم، كما يصفه القرآن يستجيب تماماً لما نعرفه اليوم عن بعض مراحل تطور الجنين، ولا يحتوي هذا الوصف على أي مقولة يستطيع العلم الحديث أن ينقدها[1].

وفي عبارة أخرى يقول بوكاي: إن مقولات القرآن عن التناسل البشري، تعتبر في ألفاظ بسيطة عن حقائق أولى أنفقت مئات من السنوات لمعرفتها[2].

وحينما سئل العالم كيث مور: هل كان من الممكن أن يعرف رسول الله ﷺ هذه التفصيلات عن أطوار الجنين؟ قال: مستحيل.. إن العالم كله في ذلك الوقت لم يكن يعرف أن الجنين يخلق أطواراً، فما بالكم بتحديد مراحل الأطوار التي لم يستطع العلم حتى الآن تسميتها بدقة، بل أعطاها أرقامًا بشكل معقد غير مفهوم في حين جاءت في القرآن بأسماء محددة وبسيطة وغاية في الدقة ثم يضيف.. يتضح لي أنَّ هذه الأدلة حتمًا جاءت لمحمد من عند الله وهذا يثبت لي أن محمداً رسول الله[3].

---

(1) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل، موريس بوكاي، ص: 232، العقيدة الإسلامية، ص: 264.

(2) القرآن الكريم والتوراة والعلم، موريس بوكاي، ص: 234.

(3) المصدر نفسه، ص: 234.

هـ - أشار القرآن الكريم إلى أن هناك حاجزاً بين البحار الملتقية ببعضها:

- قال تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾﴾ [الرحمٰن: 19 - 20].

ولم يكتشف هذا الأمر إلا مؤخراً، حيث ثبت علمياً أن مياه البحار والأنهار لا يمتزج بعضها ببعض وذلك لتابين طبيعة الماء وتمايز خصائصه فيهما[1].

هذا وفي القرآن إشارات كونية وعلمية كثيرة، منها ما كشف عنه العلم ومنها ما لم يكشف عنه حتى اليوم، وهي تثبت بدليل قاطع أن هذا القرآن من عند الله العليم الحكيم، وأنه ما كان يتأتى لبشر أن ينطق به من عند نفسه[2].

إن الكشف عن بعض مظاهر الإعجاز العلمي في القرآن، قد يكون وقد كان بالفعل، سبباً في دخول بعض العلماء التجريبيين الغربيين في الإسلام، إذ أنه دليل بيِّن على إثبات إعجاز القرآن، وبيان أن هذا القرآن وحي من عند الله ﷻ مما يترتب عليه إثبات النبوة وصدق الرسالة التي جاء بها محمد ﷺ، ولعل في اتباع هذا المنهج في فهم القرآن سبيل إلى إعادة الثقة لبعض المسلمين الذين اهتزت قناعاتهم بسبب ضغوط الحضارة المادية المعاصرة، ومنهجها

(1) العقيدة الإسلامية، ص: 264.
(2) ركائز الإيمان، ص: 264.

العلمي وإقناعهم بأن الإسلام لا يحارب العلم كما فعلت النصرانية المحرفة، بل إن العلم في إطار الحضارة الإسلامية نشأ بدعوة وتوجيه من الوحي الإلٰهي[1].

خامساً: الفرق بين الكرامة والمعجزة وخوارق السحر:

1 - الفرق بين الكرامة والمعجزة:

- أن الكرامة دون المعجزة في خرق العادة.

- أن الكرامة معتادة في الصالحين بخلاف المعجزة فهي خارقة لعادة البشر.

- أن الكرامة تابعة للمعجزة ودليل من دلائل النبوة، فإن الولي لم تحصل له الكرامة إلا لاتباعه النبي، ولو لم يتبعه لما وقعت له.

- أن الكرامة ينالها الولي بفعله كعبادته ودعائه بخلاف المعجزة فإنها غير مكتسبة[2].

- إن الكرامة هي أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوة النبوة ولا هو مقدمة لها، يظهره الله على يد ولي ظاهر الصلاح ملتزم بمتابعة نبيه، مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح، وقد يكرم الله تعالى من يشاء من عباده الصالحين بأمور غير خارقة للعادة ولا خارجة عن مألوف الناس، وذلك كالاستقامة، والتوفيق إلى طاعة الله، والزيادة في العلم والعمل، وهداية الخلق إلى الحق[3].

---

(1) العقيدة الإسلامية، ص: 265.

(2) آراء ابن حجر الهيثمي الاعتقادية، ص: 473.

(3) عقيدة التوحيد من الكتاب والسنة، ص: 282، 283.

- وإذا لاحظنا واقع حال الكرامة عرفنا أن الكرامة لا تقترن بدعوة النبوة ولا يتحدى بها، بل الأصل فيها الإخفاء والكتمان، وهذا يخالف المعجزة لأنها تقترف بدعوى النبي النبوة ويتحدى بها وإظهارها واجب ليتم بها المقصود من تبليغ الرسالة وتقام بها حجة الله على خلقه[1].

- ليست الكرامة دليلاً على تفضيل هذا المعطي على غيره، فقد يعطي الله الكرامة لضعيف الإيمان لتقوية إيمانه، ومحتاجاً لسد حاجته، ويكون الذي لم يعط مثل ذلك أكمل إيماناً، وأعظم ولاية، وهو لذلك مستغن عن مثل ما أعطى غيره، ولذلك كانت الأمور الخارقة في التابعين أكثر منها في الصحابة[2].

2 - الفرق بين الكرامة وخوارق السحر:

أما الفرق بين الكرامة والسحر فهو أن الخارق الغير مقترن بتحدي النبوة إن ظهر على يد صالح وهو القائم بحقوق الله وحقوق خلقه فهو الكرامة، أو على يد من ليس كذلك فهو السحر أو الاستدراج... وتمييز الصالح المذكور عن غيره بيِّن لا خفاء فيه، إذ ليست السيما كالسيما، ولا الآداب كالآداب، وغير الصالح لو لبس ما عسى أن يلبس لا بد أن يرشح من نتن فعله أو قوله ما يميزه عن الصالح[3].

---

(1) عقيدة التوحيد من الكتاب والسنة، ص: 283.

(2) الرسل والرسالات، ص: 160.

(3) العقيدة الإسلامية، ص: (3).

إن ما بين كرامات الأولياء وبين ما يشبهها من الأحوال الشيطانية فروق متعددة منها: أن كرامات الأولياء سببها الإيمان والتقوى، والأحوال الشيطانية يكون سببها ما نهى الله عنه ورسوله، ويستعان بها على ما نهى الله عنه ورسوله[1].

(1) آراء ابن حجر الهيثمي الاعتقادية، ص: 473.